

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163- 1112 ر ت م د إ :2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

دور قبيلة تجكانت في ازدهار الحركة العلمية والتجارية بحاضرة تندوف خلال القرن 13هـ/19م.

The Role Of Tajakanet Tribe In The Flourishing Of The Scientific And Commercial Movement In The Metropolis Of Tindouf During The 13th Century AH/ 19th Century AD.

ابراهيم حامد لمين[1]، محمد حوتية[2]

1- جامعة غرداية، brahim.historien@gmail.com

2- جامعة أحمد دراية أدرار، mohammedhoutia@univ-**adrar**.dz

تاريخ الاستلام: 28- 07- 2020 تاريخ القبول: 06- 12- 2020

ملخص

تعتبر حاضرة تندوف الجزائرية من أهم الحواضر الجكنية، وعبر تاريخها عرفت حركة علمية كبيرة بفضل إسهامات علمائها؛ أمثال العلامة محمد المختار بن بلعمش مؤسس تندوف وابنه أحمد يكن، كما ساهم تجار تجكانت بتندوف، بفضل قوافلهم التجارية في ربط علاقات اقتصادية مع أسواق إفريقيا جنوب الصحراء، مما ساهم في في ازدهار تندوف اقتصاديا وثقافيا حتى سميت بالمنارة، وأصبحت مقصد طلبة العلم والعلماء.

الكلمات الدالة-

تندوف، تجكانت، إفريقيا جنوب الصحراء، تجارة القوافل,الحواضر العلمية.

المؤلف المرسل: ابراهيم حامد لمين: brahim.historien@gmail. com

Abstract-

Tindouf Is Considered One Of The Most Important Urban Algerian Capitals, And Throughout Its History A Great Scientific Movement Has Been Known Thanks To The Contributions Of Its Scientists; The Likes Of The Scholar Muhammad Al-Mukhtar Bin Balamash, The Founder Of Tindouf And His Son Ahmed Yaqn, In Tindouf Takjnant Merchants Contributed Due To Their Trade Caravanes, In Linking Economic Relations With The Markets Of Sub-Saharan Africa, Which Contributed To The Prosperity Of Tindouf Economically And Culturally Until It Was Called Al-Manara, And Became A Destination For Science Students And Scholars.

Key Words-
(Tindouf, The Scientific Life, Sub-Saharan Africa, Commercial Caravans)

- مقدمة:

اشتهرت قبيلة تجكانت بتأسيسها لعدة حواضر بالصحراء الكبرى وغرب إفريقيا، من أبرزها حاضرة تندوف الجزائرية، التي عرفت ازدهارا علميا واقتصاديا، من خلال إسهامات علماء تجكانت في مختلف العلوم الشرعية واللغوية، ونشاط تجار تجكانت تندوف والحواضر المجاورة لها، بحيث أصبحت حاضرة تندوف مقصد القوافل التجارية بين بلاد المغرب وأسواق إفريقيا جنوب الصحراء، ففيم تتمثل الإسهامات العلمية والنشاطات التجارية لتجكانت بتندوف خلال القرن 19م؟

1.- التعريف بتجكانت وحاضرتها تندوف:

1.1.- التعريف بتجكانت:

تجكانت قبيلة لمتونية صنهاجية استوطنت حواضر الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا في بداية استقرارها، وتسمية تجكانت كلمة صنهاجية تعني القُوَّاد أو أدوات القيادة(موسى كمرا، 2009، ص81) ، وتتوزع فروع تجكانت عموما في الجزائر وموريتانيا ومالي والنيجر، والمغرب والسنغال وقليل منهم رحل إلى أرض الحجاز واستقر هناك. ويُعتبر جاكن أو جاكر الأبر الجد الأكبر لقبيلة تجكانت (المختار بن حامد، 2009، ص14)، وهو جاكن الأبر بن اعل بن شرول بن

سكسك بن أولذ بن اعل بن يهدكر بن لمتون بن النعمان بن تبع بن صنهاج؛ وبذلك تجكانت لمتونية صنهاجية (موسى كمرا، 2009، ص81- 82)، كان الجد الاكبر لتجكانت قائدا في جيش المرابطين في عهد الأمير يوسف بن تاشفين، وقد كانت له جهود كبيرة في الدور الأول من تاريخ دولة المرابطين، خلال القرن 5هـ/11م ، وجاكن الأبر هو نفسه القائد المرابطي مدرك التلكاني حيث يشير المؤرخ حماه الله ولد السالم أنه قد حرّفت اسم قبيلته من تجكانت إلى تيلكانت، وقد كان المدرك التلكاني أومزدلي بن تليوكان؛ قائدا في دولة المرابطين شهير تولى إمارة تلمسان وكان يقود ربع جيش المرابطين(حماه الله ولد السالم، 2011، ص62)، وهو من أشار إليه ابن خلدون بقوله:" أغزى يوسف بن تشفين إلى المغرب الأوسط سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة قائده مزدلي بن تيليكان بن محمد بن وركوت من عشيرة في عساكر لمتونة"(عبد الرحمن بن خلدون، 2000، ص185- 186).حيث كانت له علاقة جيدة مع أمير المرابطين يوسف بن تشفيه حيث كان يستشيره ويأخذ برأيه ، ومثال ذلك ما بينه المؤرخ السينغالي الشيخ موسى كمرا (ت1945م): "...إذ سرعان ما سيطر يوسف بن تاشفين، فنفر في جمع كثير من لمتونة، ونزل أغمات لكن الأمير مزدلي بن تيلكان أو تيجكان نصحه بالعدول عن الفكرة"(موسى كمرا، 2009، ص35) وتوفي رحمه الله شهيدا في إحدى معارك المرابطين في بداية فتوحاتها.

وقد خلف جاكن الأبر ثلاثة عشر ولدا وهم: يوسف جد فرع اديشف، اعمر، اقلال(أڤلال) جد فرع لڤواليل، رمظان أو رمضان جد فرع الرماظين، ابراهيم جد فرع أولاد ابراهيم، يعقوب جد فرع إديعقوب، اتفاغ:جد فرع اتفغات، موساني جد فرع أولاد موساني، زلماط جد فرع الزلامطة، ابن جد فرع اديبن، دوشر جد بقية ادوشر، ناصر جد بقية انواصر، ابيجه جد قبيلة اد ابيجه، يلب أو ديلب جد إيديلبه (وسَلم بن محمد الهادي، د.ت.ن، ص63)

1 .2 .- التعريف بحاضرة تندوف:

حاضرة تندوف التاريخية حاليا هي مدينة جزائرية تقع في أقصى الجنوب الغربي على بعد 1800كلم من الجزائر العاصمة، تقع فلكيا مابين خطي طول 6درجة و7درجة غربا، وبين خطي عرض 28و27درجة شمالا، يحدها من الغرب

الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية، ومن الشمال الغربي المملكة المغربية ، ومن الجنوب الجمهورية الإسلامية الموريتانية، ومن الشرق ولاية أدرار، ومن الشمال الشرقي ولاية بشار، بما فيها حمادة الداورة وتبلبالة وعرق الراوي، فتندوف منطقة حدودية تقدر مساحتها 158874كيلومتر مربع، وتربط الجزائر بالمملكة المغربية والصحراء الغربية وموريتانيا، وبهذا تحتل تندوف موقعا استراتيجيا هاما، جعل منها محطة تجارية هامة بين الأقاليم الصحراوية، ومركز عبورللقوافل التجارية، ورحلات الحجيج القادمة من الغرب خاصة من إقليم الساقية والزمور، ووادي باني اتجاه منطقة توات، ومنها نحو المشرق الإسلامي عبر خط توات، فزان، مصر، وهو طريق ركب الحجيج، إضافة إلى ذلك تعتبر حاضرة تندوف همزة وصل بين الشمال والجنوب، خاصة بين الأقاليم الشمالية الغربية للمغرب العربي والسودان الغربي(مصطفى بن دهينة، 2010، ص07).

1 .3.- الخلفية التاريخية لمدينة تندوف:

يذكر المؤرخ أبي عبيد الله أن اسم تندوف أصلها تيندفوس، وتعني الآبار التي كان يحفرها المسافرون وأصحاب القوافل التجارية وما تلبث أن دفنتها الرمال بفعل الزوابع الرملية حيث قال:" فتسير في هذا الجبل ثلاث أيام يسمى تندفس، وهي آبار يحتفرها المسافرون فلا تلبث أن تنهار وتندفن" (أبو عبيد البكري، د.ت.ن، ص 156)، فمن خلال ما تطرق له البكري يتضح لنا تأصيله العربي للكلمة ؛أي من الدفن فقد صحّفت من تندفن إلى تندفس، ويتطرق رشيد الحسن في كتابه الأعلام الجغرافية والهوية إلى أن تندوف كلمة تنقسم إلى قسمين تين+ أضوف وتعني مكان الحراسة في لغة صنهاجة (رشيد الحسين، 2008م، ص 12) وهو بذلك يقول بالأصل الأمازيغي لتندوف، ويؤكد ذلك أن اسم تندوف في لغة تماهق (الطوارق) تتكون من جزأين؛ تين+أدوف، أي مكان المخ، الذي يتواجد في داخل العظم ، فكلمة (تين) في تماهق تعني مكان أو ضمير الملكية، ومثل تركيب اسم تيندوف متواجد كثيرا في لغة صنهاجة ببعض الأماكن في الصحراء الكبرى مثل: تينركوك، تينيلان، تينزاواتين ، وهو الرأي الراجح في أصل تسمية تندوف، وقد ضبط اسمها في الوثائق المحلية بالياء بعد

التاء(تيندوف)، وهو ماهو موجود في خزانة آل بلعمش ، وقد ضبطت كذلك من دون ياء بعد التاء في مصادر أخرى كتاريخ الفتاش لمحمود كعت.

وقد وردت حاضرة تندوف في المصادر التاريخية كدلالة على حركيتها وازدهارها خاصة وأنها كانت محطة مهمة للقوافل التجارية، وقد استقطبت الكثير من العلماء، فكل من مر بها أثنى على أهلها، واصفا كرمهم حيث أشار لها العلامة محمد بن محمد المختار الولاتي (ت1330ه/1914م)، (محمد يحي ين محمد المختار الولاتي، 2009، ص15- 27) في رحلته الحجازية بقوله:" وأتحفنا عابدين بجمل فحل ذلول وحنبل جيد، وزودنا فخرجنا منه لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة من العام السادس عشر بعد ثلاثمائة وألف، قاصدين تندوف فمكثنا دونها اثنتي عشرة ليلة فيها مقام يومين"(محمد يحي ين محمد المختار الولاتي، 2009، ص 67).

وأشار محمود كعت في كتابه الفتاش إلى مدينة تندوف في القرن 10هـ/16م بقوله:" فجئت تندوف فوجدت قصي بن سليمان إمامها والظاهر البكاي قاضيها، ثم ارتحلت وزودني بألف دينار"(محمود كعت التنبكتي، 2014، ص 109)، وقد كان تطرق محمود كعت لتندوف في حديثه عن رحلة الشريف أحمد الصقلي الذي كان يقصد حاضرة تنبكتو، حيث مر في طريقه على تندوف سنة 925هـ/1519م، الذي انطلق من بلده العراق متوجها إلى حاضرة مكناس ثم تندوف، وبعدها أروان وصولا إلى تنبكتو(محمود كعت التنبكتي، 2014، ص 109)؛ فما أفاد به الصقلي في رحلته عن حاضرة تندوف في بداية القرن 10هـ/16م من وجود قاضٍ بالبلاد وإمام، وما أعطوه له أهل تندوف من مال يقدرب1000دينار ذهبي، وهو مبلغ معتبر في تلك الفترة يدل على أن البلاد كانت عامرة مزدهرة ثقافيا واقتصاديا.وقد أشار العلّامة أحمد بن محمد الكاملي إلى حاضرة تندوف واصفا عمرانها الذي أُبهر به عند نزوله عند تجكانت، (إبن طوير الجنة، د.ت.ن، ص ص4- 5)، حيث لبث معهم قرابة عشر سنوات (1299. 1309هـ/1881- 1891م) في رحلته من المشرق مرورا بتندوف متوجها إلى مراكش.

تعرف تندوف نظاما اجتماعيا قبليا يتكون من قبيلتين أساسيتين، وهما تجكانت، والرقيبات، حيث كانت كلتا القبيلتان تعتمدان كأسلوب للحياة والمعيشة على التجارة مع المدن والحواضر المجاورة، أو تتبع الماء والكلأ من أجل الرعي في الوديان المجاورة(مصطفى بن دهينة، 2010، ص4)، وفي سنة 1267هـ/1850م، استقرت مجموعة من قبيلة تجكانت بتندوف وأسست الزاوية، والمسجد، ويعتبر هذا التأسيس حدثا تاريخيا مهما في التاريخ الحضاري لتندوف؛ ويعود الفضل في تأسيس الزاوية، وبناء المسجد إلى العلامة الشيخ محمد المختار بلعمش، ومنذ تأسيس هذه الزاوية الجكنية بتندوف أصبحت دعامة أساسية للعلم والمعرفة والتصوف عم إشعاعها الصحراء و حواضر غرب إفريقيا، فالازدهار الذي عرفته مدينة تندوف راجع بالدرجة الأولى إلى شخصية وزاوية بلعمش التي كان لها الدور الفعال في تنشيط المحيط المغاربي والإفريقي(عبد الحق معزوز،2011، ص30- 32).

وبعد تأسيس المسجد والزاوية توسعت تندوف لتضم ثلاث أحياء وهي: حي الموساني، حي الرماضين، حي لقصابي، فهذه الأحياء إضافة إلى مسجد وزاوية سيدي بلعمش تعتبر الركيزة المعمارية الأولى والنواة الحقيقية في تعمير حاضرة تندوف، وما يدل على الازدهار العلمي الذي عرفته تندوف بفضل العالم المختار بن بلعمش؛ أنها تخرج منها المئات من العلماء والفقهاء، ومن المفاخر العلمية لزاوية العلامة المختار بلعمش أن أوسكار ملك السويد والنرويج أنذاك طلب من الخليفة العثماني عبد الحميد الثاني أن يرسل إليه بعثة علمية شريطة أن يكون على رأسها النسابة الفقيه والعالم الأديب محمود التركزي الذي يعتبر من أنجب تلاميذ العلامة المختار بلعمش(مصطفى بن دهينة، 2010، ص11)، إضافة إلى ذلك كان للقبائل التندوفية الأخرى دور في الحفاظ على الموروث الثقافي والعلمي بالمنطقة، كما ساهم فقهاء وعلماء الرقيبات مساهمة فعالة من خلال محاضرهم وكتاباتهم التي انتشرت عبر كل بوادي وحمادات تيندوف، وقد برز منهم الشيخ الفقيه والولي الصالح سيدي أحمد الرقيبي(مصطفى بن دهينة ،2010 ، ص12).

2.- الإسهامات العلمية لبعض علماء تجكانت بتندوف خلال القرن 19م:

2. 1.- العلامة محمد المختار بن بلعمش:

هو الشيخ العلامة أبو عبد الله سيدي محمد المختار بن محمد الملقب بابن الأعمش بن محمّ بن أحمد بن اعمر بن أبي بكر الجكني الموساني، من أسرة علمية اشتهرت بعلمائها ومحاضرها العلمية بتندوف وأرض السوس وبلاد شنقيط (محمد المختار السوسي، 1960م، ص144)، ولد عام 1204هـ/1789م، كان عالما، جليلا، متضلعا في العلوم الشرعية،واللغوية، والقراءات القرآنية، كان تعلمه على يد والده بلعمش وغيره من علماء شمامة وزمور، ثم نزل بالشيخ سيدي محمد ابن الشيخ سيدي المختار الكنتي فلازمه، ونهل منه حتى أصبح عالما متبحرا ، وقد وكل إليه الشيخ سيدي المختار الكنتي نسخ الكتب، فقد كان عنده خط جميل ومتميز، وبعدها ذهب إلى أخواله وأبناء قبيلته تجكانت بزمور؛ فرحب به شيخ القبيلة الديماني وأكرمه، وقدمه يصلي بالناس ويعلمهم لما وجده فيه من علم غزير وتقوى، وزوجه بنتيه بالتتابع، ويرجع له الفضل في بناء مدينة تندوف الحالية فكان أول من بنى فيها المسجد العتيق في تندوف سنة 1270هـ ، وشارك في بنائه الجميع، وبعدها شرعوا في بناء الدور والزاوية .

وكان العلامة محمد المختار بن بلعمش يدرس القرآن، والحديث، والفقه، والنحو، وغير ذلك من العلوم الشرعية، وقد قصد العلامة الشهير في الشرق محمد محمود التركزي ، وبقي مدة كبيرة يدرس الصحيح البخاري ثم رجع إلى المشرق، كما وفد إلى مدرسة الشيخ محمد المختار بن بلعمش؛ الشيخ ماء العينين، فصلى في المسجد ما شاء الله، وأخذ فنونا من العلم هناك ، إضافة إلى الورد القادري، وكذلك مر بتندوف عند تجكانت العلامة محمد يحيى الولاتي في رحلته إلى الحج، قال عنه أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاتي(ت1330هـ/1917م) في كتابه منح الرب الغفور في ذكره لوقائع عام 1287هـ/1870م : " وفيه توفي العالم الفقيه محمد المختار بن ابن الأعمش الجكني.كان رحمه الله تعالى فاضلا نجيبا رئيسا نبيلا نبيها وجيها كبير الشأن رفيع الدرجة عالي الهمة حسن الخلق والخلق فقيها نحويا لغويا"(أبو بكر بن أحمد المصطفى ، 2011م، ص206) وقد ذكر الكثير من خصاله الحميدة

موضحا مكانته العلمية الكبيرة ، وأضاف كذلك أنه لم تشغله السياسة والرئاسة عن القراءة والعبادة(أبو بكر بن أحمد المصطفى، 2011م، ص207). ترك العلامة محمد المختار بن بلعمش مؤلفات عديدة وكان رجلا صالحا ، محبا لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي رحمه الله 1287هـ/1870م بتندوف (محمد المختار السوسي، 1962م، ص 159) اشتهر رحمه الله بتآليفه الكثيرة أبرزها:

- شفاء الصدور في فتح مسألتي المشكور، مخطوط بخط يده ألفه سنة 1263هـ/ 1846م
- نصيحة قضاة البرية في تحريم الرشوة والهدية، مخطوط بخط يده انتهى من تأليفه في رجب 1242هـ/1826م
- معرفة المباني لصحة المعاني والإعانة للمقصر العاني، مخطوط بخط يده انتهى من تأليفه 07ذي القعدة 1272هـ/10 جويلية 1856م.
- عجالة البركة في النفقة وزيادتها في البائس والصدقة، مخطوط بخط يده ألفه سنة 1279هـ/1862م
- التعليق اللطيف والتصنيف الظريف على أسماء الله الحسنى، مخطوط بخط يده
- مؤلف في علم النباتات، مخطوط بخط يده فرغ من تأليفه سنة 1242هـ/1826م
- مقابلة وطرر على القاموس المحيط للفيروزأبادي، مخطوط بخط يده فرغ من تأليفه سنة 1264هـ/1847م
- كتابة بعض الفوائد والشروح على نسخة صحيح الإمام البخاري .
- مقابلة وتحقيق نص درس السماع في علم الحديث، مخطوط بخط يده
- نصيحة ذوي الرسوخ، مخطوط بخط يده
- مؤلف في رسم المصحف، مخطوط بخط يده (عبد الله حمادي الإدريسي، 2013م، ص140- 150)

كما تتلمذ على العلامة محمد المختار بن بلعمش بالإضافة إلى أبنائه وأحفاده وكثير من أفراد تجكانت بتندوف؛ جملة الطلبة أبرزهم: الشيخ ابن بعز

الأرواني، والشيخ العربي بن محمد القلوي؛ الذي له تأليف مخطوط بخزانة آل بلعمش بعنوان لفظ الصبر في جميع القران. وتتلمذ على العلامة محمد المختار بن بلعمش أيضا محمد فال بن أحمد جد بن محمد بن حبيب الله اليعقوبي الجكني الذي نسخ القاموس المحيط للفيروزأبادي، وهو موجود بخزانة آل بلعمش بتندوف نسخه في شعبان1264هـ/جويلية 1848م، وكذلك الحسن بن على بن محمد السجرادي ، وعبد الرحمان بن الأمين التقاطي، وعلي بن ناصر بن محمد التركزي، ومحمد بن البار الموساني الجكني، والشريف مولاي علي بن التهامي، وأبو شعيب بن الجلالي الدعوي البيضاوي، والشيخ ماء العينين، إضافة إلى شاعر من تجكانت وصف نفسه بالدعيمص في إحدى قصائده(عبد الله حمادي الإدريسي: ، 2013م، ص 150)،ومحمد محمود بن التلاميذ التركزي الذي زار العلامة محمد المختار بن بلعمش بتندوف ولازمه قرابة السنة من 1863 إلى 1864م ، وتوفي رحمه الله بمصر سنة 1322هـ/1904م (أحمد بن الأمين الشنقيطي، 1920، ص 374).

2.2.- العالم أحمد يكن:

هو أحمد يكن بن محمد المختار بن بلعمش، ولد 1260ه/1844م بتندوف ونشأ بها، وأخذ العلم عن والده العلامة محمد المختار،(عبد الله حمادي الإدريسي، 2013م، ص140- 150)، وكان يستزيد ويأخذ عن العلماء الذين يمرون بتندوف إلى الحج، فقد أخذ بعض العلوم الشرعية واللغوية عن محمد محمود التركزي، وأخذ عن الشيخ محمد يحي الولاتي ، وهذا هو دأب العلماء أن يتواضعوا لبعضهم البعض ، وكل يأخذ من غيره ويستجيزه (محمد المختار السوسي، 1962، ص 161).

كان العلامة أحمد يكن بن محمد المختار بن بلعمش، عالما، فقيها، ضليعا في علوم اللغة العربية الفرائض، والتاريخ، والأنساب، والتفسير والحديث والسير النبوية ، قائما على ساق الجد فكان يدرس ويفتي ويقضي، وينسخ الكتب، فقد أحيا الله به العدل في منطقة تندوف، فقد كان عالم تندوف ومنارتها ، حيث كانت الاستفتاءات والأسئلة العلمية كثيرا ما ترِد إليه من حواضر مختلفة، وقد قال عنه مختار السوسي:" أنه كان ذاكرا كثير الأوراد، متحريا الحلال في

قوته ومعيشته، وقد جمع الله له المحبة في القلوب وزرع له الاحترام والهيبة بين الخلق" (محمد المختار السوسي، 1962م، ص 165)، توفي رحمه الله سنة 1318هـ/1900م بتندوف ودفن بها، وأولاده : منتلا ، محمد المختار ، محمد الصغير، ومن مؤلفاته طرة على موطأ مالك، وبعض الفتاوى، والقصائد الشعرية، التي تحتفظ بها خزانة آل بلعمش بتندوف.

2. 3.- عمر ولد لعرب الرمضاني الجكني:

هو عمر بن لعرب بن مولود بن محمد الحرطاني بن الطاهر بن أبي بكر المسعودي الرمضاني الجكني، شاعرا وأديبا ولد سنة 1271هـ/1854م، أخذ العلم عن أسرته العلمية، ومن الشيخ أحمد الكاملي الدرعي، وعنه أخذ الطريقة الصوفية التجانية (عبد الله حمادي الإدريسي، 2013م، ص199) ؛ لم تسعفنا المصادر التي وصلنا لها في تحديد سنة وفاته، له رحمه الله ديوان شعري مخطوط باللهجة الحسانية، أتمه يوم 29 جمادى الأول 1303هـ/05مارس 1886م (عمر ولد لعرب الرمضاني الجكني، د.ت.ن.).

2. 4.- مياسة بنت عابدين الجكنية التندوفية:

هي لالّة مياسة بنت عابدين بن عبد الحي الرمضانية الجكنية، كانت رحمها الله ولية صالحة عابدة زاهدة، وكانت شاعرة مدّاحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم باللسان الحساني، ومدائحها متداولة عند تجكانت والصحراء عموما، واشتهرت بقصيدة يفتح بها النساء المديح بتندوف ليلة المولد النبوي الشريف تسمى المياسة عاشت رحمها الله حياتها الطيبة خلال القرن 13هـ/19م (عبد الله حمادي الإدريسي ، 2013م، ص210).

3- النشاط التجاري لتجار تجكانت بتندوف:

إن الواقف على الوثائق المحلية بخزانتي أهل العبد، وبلعمش بتندوف؛ يدرك ازدهار الحركة التجارية بسوق تندوف، ويدرك أيضا الأهمية الاقتصادية لهاته الحاضرة الجكنية، فمعظم تلك الوثائق التي هي في معظمها عبارة عن تقاييد توثق تجارة تجكانت بتندوف، حيث يلاحظ من خلالها أيضا تنوع السلع والبضائع، واختلاف العملة ونوعية التعامل التجاري، كما تحمل في طياتها أسماء التجار، الذين اشتهر منهم الكنتي بن المختار بن الصالح الشانعي الجكني

ومن أهم البضائع والسلع التي لاقت رواجا في تجارة تجكانت؛ الملح والذهب(بريك الله حبيب، 2016م، ص119)، والعبيد ، والعاج (محمد العربي الزبيري، 1984، ص 168)، وريش النعام (رولفس غيرهارد ، 2000، ص266). كما لم يكن التعامل بالعملة أمرا شائعا في تجارة القوافل بين حواضر المغرب الكبير وإفريقيا جنوب الصحراء، حتى بداية القرن العشرين20م، ومعظم التعامل كان يتم بالمقايضة بالملح، والذهب، والتمر، والودع، وقماش النيلة المعروف بالبيصة، والأنعام. و من أهم العملات نجد المثقال الذهبي الذي كان عملة رائجة في الأسواق التجارية؛ حيث ذكر مارتان (Martin) أن المثقال المستعمل في توات وما جاورها من الحواضر مقداره 4.50 غ (Martin, 1908, p 19.) .

3. 1.- الطرق والمسالك التجارية:

أكثر تجارة تجكانت كانت تسلك محورين رئيسيين وهما؛ المحور الشرقي ويدعى طريق الذهب، وينطلق من تافيلالت عبر توات ويتجه نحو تنبكتو (مبارك جعفري2013م، ص 333)، والمحور الغربي ويُدعى طريق الملح وهو ينطلق من واد نون جنوب السوس، ويتجه نحو ودان وتيشيت جنوب شنقيط؛ حيث تتزود القوافل بالملح، فتسير نحو نهر السنغال فيقع تبادل الملح بالذهب والعبيد وريش النعام وتستغرق الرحلة قرابة الشهرين(عمرأفا، 2006، ص300)، وتعتبر حاضرة تندوف مركز التجارة الجكنية، ومحط القوافل بحكم موقعها الممتاز في المحور الغربي حيث تتجه القوافل من تندوف إلى تغازة على مسافة 615كلم، وتستغرق فيها الرحلة 36 يوم ذهابا وإيابا، ومن تندوف إلى تاودني 820كلم، وتستغرق فيها الرحلة 47 يوم ذهابا وإيابا، ومن تندوف إلى أروان 1270كلم، وتستغرق فيها الرحلة 73يوم ذهابا وإيابا، ومن تندوف إلى تنبكتو 1528كلم، وتستغرق فيها الرحلة 88 يوم ذهابا وإيابا(بريك الله حبيب، 2017 ، ص 306- 307).

3. 2.- أهم الصعوبات التي تواجه القوافل التجارية:

إن المعيقات الطبيعية كالتضاريس والرياح،طرحت صعوبات كبيرة أمام حركة القوافل التجارية العابرة للصحراء الكبرى الأفريقية من الشمال إلى الجنوب أو العكس؛ لكنها لم تكن الوحيدة، بل هناك معيقات وصعوبات أخرى ناجمة عن تدخلات بشرية نقسمها إلى قسمين وهما :

3. 2. 1.- صعوبات طبيعية وأهمها:

- **الكثبان الرملية:** تعتبر الكثبان الرملية من الصعوبات الطبيعية، وذلك لصعوبة السير عليها لمسافة طويلة، لأنها تنهك الإبل الحاملة لأثقال البضائع والسلع وتثقل من سير القافلة. إضافة إلى أن الرمال الصحراوية متحركة تبعا لحركة الرياح، وتسبب في ضياع معالم الطريق فتؤدي إلى تيه القافلة في الصحراء(صالح معيوف مفتاح، د.ت.ن ، ص33).

- **هبوب الرياح:** تعرف الصحراء الإفريقية بزوابعها الرملية القوية خاصة الرياح الساخنة، حيث يذكر محمد العربي الزبيري نقلا عن (موروا): إن رياح الجنوب داهمت إحدى القوافل القادمة من تنبكتو سنة 1805م وكانت مكونة من ألفين رجل وألف وثمانمائة جمل لم ينج منها احد(صالح معيوف مفتاح، د.ت.ن ، ص33).

- **قلة المياه:** تعد ندرة نقط الماء، أو بعد المسافة بينها، من أخطر المشاكل التي كانت تواجه القوافل التجارية أثناء عبورها الطويل والشاق للصحراء؛ لذلك لعبت الآبار دورا مهما في توفير الماء للقوافل، حيث كانت آبار الماء محطات تستريح فيها القوافل، ويتبادلون فيها أخبار الطريق ويتعرفون على الأسعار ويؤدون بها الصلاة، وعادة ما تكون الآبار محفورة في وسط الأودية، وتختلف أعماقها باختلاف المنطقة التي حفرت بها، فالأزواد مياهها عميقة تصل إلى الخمسين مترا، بينما آبار تنزروفت وإقليم توات تمتاز بقرب مياهها التي لا تزيد عن الخمسة عشرة مترا، والى جانب البئر توجد سواقي ترد عليها الإبل والغنم إلا أن هاته الآبار أحيانا تقل فيها المياه أو تغور(محمد الصالح حوتية ، 2008 ص104).

3. 2.2.- صعوبات بشرية:

وتتمثل في الهجمات التي تتعرض لها القوافل من طرف اللصوص، وقطاع الطرق سواء كانوا أشخاص أو قبائل، وما يدل على ذلك رسالة بخزانة أهل العبد بتندوف وجاء فيها أن قافلة من توات بها ستة وخمسون رجلا تعرضت لغارة وهجمة من طرف قطاع الطرق، فقتلوا منهم من قتلوا وقاموا بتقييد الباقين بالقماش الذي يحملونه في بضائعهم، واستولوا على جميع ما يملكون، فلحقت

عليهم قافلة أخرى بها قبائل أولاد المولات من الأزواد، فأنقذوهم واشترطوا عليهم أن يعطوهم ثلث البضاعة، مقابل استرجاعها من القطاع، وهذا ماحدث. و يوضح لنا هذا أن القوافل كانت تتعاون فيما بينها لصد هجمات قطاع الطرق، ومعظم من كان يقوم بنصب الكمائن، هم جماعات من قبائل الطوارق والخنافسة(محمد العربي الزبيري،1984،ص121) ؛ للإستلاء على ما في الحمولة من أشياء ثمينة. فالقوافل تقطع مسافات شاسعة في ظروف مناخية صعبة، وهي مضطرة إلى أن تسلك طرق معينة تقع على جناباتها آبار ونقاط المياه، وهذا الاعتبار يسهل كثيرا مهمة قطاع الطرق، والقبائل التي تعيش على السلب والنهب. ويضاف إلى المشاكل التي تصيب القوافل؛ مشكلة الجوائح كالأمراض والأوبئة، التي تؤدي إلى هلاك الكثير من المشاركين في القافلة، وغالبا مايُحجر على القافلة من دخول السوق خوفا من نقل العدوى(صالح معيوف مفتاح، دت،ص66).

ولمواجهة هذه المشاكل تتخذ القوافل مجموعة من الإجراءات الوقائية؛ حيث كانت القوافل تتجنب انطلاق سفرها في فصل الصيف، سواء كان ذلك ذهابا وإيابا، وإنما كانت تفضل فصل الخريف كي تستغل موسم برودة المناخ في نشاطها التجاري. وكانت القافلة تأخذ معها الماء الذي يكفي احتياجاتها؛ إذ أنها تخصص بعض الجمال فقط لنقل الماء في القرب، إضافة إلى تشارك عدة قوافل طريق واحد في السفر بهدف حماية نفسها من قطاع الطرق(محمد الصالح حوتية ،2001 م ، ص35).

4- أهم تجار تجكانت :

4. 1.- التاجر الكنتي بن الصالح الشانعي الجكني:

هو التاجر الكنتي بن المختار بن الصالح الشانعي الجكني التندوفي صاحب تجارة كبيرة بين تندوف، وتنبكتو ساهمت في ازدهار تندوف اقتصاديا في زمنه، ولد سنة 1839م، وقد وفد إلى حاضرة تندوف، وعمره 30سنة، وقد كانت له مكانة محترمة في تندوف بسبب نشاطه التجاري الذي يساهم في تحسين الأوضاع المعيشية لساكنة تندوف وفي سنة 1876م، امتنع الكنتي من دفع حقوق المداراة لقبيلة تجكانت؛ وهي ضريبة يفرضها نظام قبيلة تجكانت على كل تاجر

يستقر بحاضرتهم تندوف، وهذا ما سبّب خلافا كبيرا بين التاجر الكنتي مع ابن عمه محمد البشير بن محمد الحرطاني، وصل إلى حد القتال سنة 1888م (بريك الله حبيب، 2014، ص 188) ، **ومات في تلك الحرب المؤسفة 90 رجلا من تجكانت(محمد محمود سيدي بابكر الأرواني، د.ت.ن، ص 103).**

وكان للتاجر الكبير الكنتي أبناء سلكوا دأبه في التجارة والقيادة؛ فمنهم الصالح ومنهم المختار؛ الذي كان قائدا على مدينة تاودني، اغتالته فرنسا المستعمرة رحمه الله سنة 1927م (بريك الله حبيب،2014، ص 189)

4 .2.- محمد العبد بن محمد الحرطاني:

هو محمد العبد بن محمد الحرطاني المسعودي الجكني التندوفي من مؤسسي حاضرة تندوف مع العلامة محمد المختار بن بلعمش حيث يقول القاضي الأرواني: "... وأول من بنى تندوف لمرابط بن الأعمش والعبد بن الحرطاني في جد أهل العبد، فالمرابط من أولاد مسّان فهو العالم الولي الصالح القاضي المشهور صاحب الضيافة والتقدم في الأمور "(محمد محمود سيدي بابكر الأرواني، د.ت.ن ، ص 101)

فقد كان القائد التاجر محمد العبد بن محمد الحرطاني صاحب مكانة عالية في قبيلته، وتندوف عامة؛ لما يتصف به من مكارم الأخلاق، والكرم والشجاعة، وكان صاحب مال وتجارة ولا أدل على ذلك من القيمة الكبيرة للتركة بعد وفاته رحمه لله، حيث ترك 16 ألف ريال بصرف الذهب، إضافة إلى مثقالَين من الذهب، فقد كان من كبار التجار الذين عرفتهم مدينة تندوف؛ خاصة في تجارة الملح والذهب بين أسواق تاودني وتينكتو حيث كانت له رحلتين في السنة (بريك الله حبيب، 2014، ص203.) **وكل من وفد إلى حاضرة تندوف يضيفه ويكرمه؛ مثل أقام العلامة محمد يحي الولاتي سنة كاملة في ضيافة محمد العبد بن محمد الحرطاني، وقد ذكر بأنه أحسن إليه وأكرمه وأنزله في داره الواسعة، وأقام كذلك عند محمد العبد بن محمد الحرطاني العلامة أحمد بن محمد الكاملي الضرير الدرعي عشر سنوات (1881- 1892م)، وهو ما يدل على سعة الصدر، وواسع الكرم وحسن الضيافة، حيث كان منزله مقصدا لطلبة العلم، وتجار القوافل وعابري السبيل** (بريك الله حبيب،2014، ص205.) **لم**

تسعفنا المصادر التي توصلنا أليها إلى تاريخ دقيق لوفاته رحمه الله إلا أنه حسب وثيقة تقسيم تركته رحمه الله تكون وفاته في الربع الأول من القرن 20م(محمد العبد بن محمد الحرطاني ، د.ت.ن، ص1).

4. 3.- عبد الله بن محمد العبد بن محمد الحرطاني الرمضاني الجكني:

هو الشيخ الفقيه التاجر الكبير عبد الله بن محمد العبد بن محمد الحرطاني بن الطاهر بن أبي بكر المسعودي الرمضاني الجكني التندوفي، اشتغل بالتجارة بين حاضرة تندوف، وأسواق إفريقيا جنوب الصحراء، وله شأن كبير ومكانة في قومه، وكان منزله منزل كرم يستقبل الضيوف، وكل من مرّ بتندوف يكرمه، ويظهر واسع كرمه من خلال ما قاله فيه الولاتي في رحلته: "...فنزلنا في دار أهل العبد عند عبد الله بن العبد فأحسن إلينا أتم الإحسان، وأنزلنا في دار واسعة أدخلنا فيها عيالنا، ومكثنا في تندوف عام وشهرا في بر وإحسان"(محمد يحي بن محمد المختار بن الطالب عبد الله الولاتي الشنقيطي، 2009م، ص67)، وقد أرسل إليه ابن عمه العلامة محمد حبيب الله بن ميابى الجكني الشنقيطي (ت 1364هـ/1944م) رسالة مدح فيها الشيخ عبد الله بن محمد العبد، ووصفه أنه من أهل المروءات والجود والكرم والخصال الحميدة، ودعا الله في رسالته أن يجتمع به عن قريب؛ لما له من محبة صادقة في قلبه، توفي الشيخ عبد الله بن محمد العبد رحمه الله بداية ق14هـ/20م (محمد حبيب الله بن ميابى الجكني الشنقيطي، د.ت.ن، ص1).

4. 4.- محمد البشير بن محمد العبد بن محمد الحرطاني:

هو الشيخ والتاجر الكبير محمد البشير بن محمد العبد بن محمد الحرطاني بن الطاهر بن أبي بكر المسعودي الرمضاني الجكني التندوفي، كان تاجرا كبيرا يتنقل بتجارته إلى حواضر إفريقيا جنوب الصحراء، وكان غالبا يختار طريق تينجورارين وتوات إلى تنبكتو، توفي رحمه الله بداية القرن 14ه/20م (عبد الله حمادي الإدريسي، 2013، ص208- 209).

وقد ذكر القاضي محمد محمود الأرواني في كتابه الترجمان في تاريخ أزواد وأروان؛ أن التجكانت هم أكثر من سكن أروان من التجار الواردين إليها، ومن بين

التجارة الجكنيين بأروان الوالي بن عبد الرحمان، والوالي بن بهي محمد محمود سيدي بابكر الأرواني، د.ت.ن، ص 100).

- خاتمة:

من خلال الدراسة يتضح أن الازدهار الاقتصادي والثقافي الذي عرفته حاضرة تندوف ساهمت فيه وبشكل كبير قبيلة تجكانت بداية من تأسيسها لتندوف، وتصدر علمائها للتدريس والقضاء؛ بداية من محمد المختار بن بلعمش، وأبنائه، كما ساهم تجار تجكانت أيضا في تنشيط الحركة الاقتصادية بتندوف وتوطيد العلاقات بينها، وبين ما جاورها من الحواضر بالمغرب الكبير وإفريقيا جنوب الصحراء.

- قائمة المصادر والمراجع:

1.- المصادر:

1.1.- المخطوطات:

- محمد محمود سيدي بابكر الأرواني، (د.ت.ن)، كتاب الترجمان في تاريخ أزواد وأروان، مخطوط بمركز أحمد بابا التنبكتي، تنبكتو مالي رقم 73، نسخة منه عند محمود خونا الجكني بتندوف.
- ابن طوير الجنة، (د.ت.ن)، رحلة المنى والمنة، مخطوط بحوزتي .
- الرمضاني عمر ولد لعرب الجكني، (د ت)، ديوان حسان، مخطوط بخزانة أهل العبد ، تندوف الجزائر.
- محمد العبد بن محمد الحرطاني، تقييد تقسم تركة، (د. ت.ن)، وثيقة مخطوطة بخزانة أهل العبد تندوف، الجزائر.
- ميابى محمد حبيب الله بن الجكني الشنقيطي (د.ت.ن)، رسالة إلى الشيخ محمد العبد بن محمد الحرطاني الجكني، رسالة مخطوطة بخزانة أهل العبد ، تندوف، الجزائر .

2.1.- المصادر المطبوعة:

- المصطفى أبو بكر بن أحمد، (2011م)، منح الرب الغفور في ما أهمله فتح الشكور، تح. محمد الأمين بن حمادي، منشوراتENS، فرنسا.
- ابن خلدون عبد الرحمن، (2000م)، تاريخ ابن خلدون المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، تح. خليل شحادة وسهيل ذكار، دار الفكر، بيروت لبنان.
- البكري أبو عبيد، (د.ت.ن)، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر.

- السوسي محمد المختار: سوس العالمة: مطبعة فضالة ، المحمدية، المغرب الأقصى 1380هـ/1960م.
- السوسي محمد المختار، (1962م)، المعسول، ج18،مطبعة النجاح الدار البيضاء، المغرب الأقصى.
- الولاتي محمد يحي بن محمد المختار، (2009م)، الرحلة الحجازية الجزء الخاص بتندوف، تح. بريك الله حبيب، دار المعرفة، الجزائر،.
- بن حامد المختار، (2009م)، جياة موريتانيا، ج6 تجكانت ،تح. يحي ولد البراء وآخرون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، المغرب.
- غيرهارد رولفس، (2000م)، رحلة إلى الكفرة تقارير الرحالة الألماني رولفس، تر. عماد الدين غانم، منشورات مركز جاهد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا.
- كعت محمود، (2014م)، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، وعظائم الأمور، وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، تح.آدم بمبا، ط1، مؤسسة الرسالة، دمشق سوريا.
- كمرا موسى، (2009م)، تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى، تحقيق د.حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط1.

2.- المراجع:

- الإدريسي عبد الله حمادي، (2013م)، المناقب الأعمشية الجكنية في حاضرتها التندوفية الصحراوية، دار الكتاب الملكي، الجزائر، ط1.
- أفا عمر، (2006م)، التجارة المغربية في القرن التاسع عشر – البنيات والتحولات 1830-1912م، دار الأمان، الرباط، ط1.
- الإدريسي عبد الله حمادي، (2013م)، المناقب الأعمشية الجكنية في حاضرتها التندوفية الصحراوية، دار الكتاب الملكي، الجزائر، ط1.
- الإدريسي عبد الله حمادي، (2013م)، تندوف وتجكانت تاريخا ومناقب وبطولات، ج2، ، دار الكتاب الملكي، الجزائر، ط1.
- الحسين رشيد، (2008م)، الأعلام الجغرافية والهوية ، دار المناهل، المغرب،.
- الزبيري محمد العربي، (1984م)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين 1792- 1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- السالم حماه الله ولد، (2011م)، تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، ط 2 مطبعة النجاح الجديدة ومنشورات الزمن، الدار البيضاء، المغرب.
- الشنقيطي أحمد بن الأمين، (1920)، الوسيط في تراجم شنقيط، المطبعة الجمالية ، مصر، ط1.

- العربي إسماعيل، (1983م)، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- الهادي وسَلم بن محمد ، (د.ت.ن)، موريتانيا عبر العصور،د.د.ن، موريتانيا.
- بن دهينة مصطفى، (2010م)، قطوف من تاريخ تيندوف، إصدار المجلس الأعلى للغة العربية، دار راجعي للنشر، الجزائر.
- حوتية محمد الصالح، (2008م)، آل كنته دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة ق18- 19م، دار الكتاب العربي، الجزائر.
- معزوز عبد الحق، (2011م)، العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تندوف، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، الجزائر.
- مفتاح صالح معيوف، (دت)، جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن2هـ إلى أواخر القرن 3هـ ، مؤسسة توالت الثقافية ، د.م.ن.

3.- المقالات:

- حوتية محمد الصالح، (2001م)، توات والقوافل التجارية، مقال ألقي في ملتقى طريق القوافل ، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ ، من 12 إلى 14 نوفمبر ، الجزائر.
- حبيب بريك الله، (2017م)، القوافل العلمية والتجارية بين تندوف ودول الساحل في القرن 19و20م، مداخلة في أعمال الملتقى الوطني حول التواصل الحضري بين الجزائر وبلاد الساحل الإفريقي، بين القرن 16و20م، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي،.
- حبيب بريك الله، (2016م)تجارة الذهب والملح بأسواق تندوف في القرن 19م من خلال الوثائق المحلية، مقال بالمجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، العدد 1 و2، المركز الجامعي تندوف.

5.- الرسائل الجامعية:

- جعفري مبارك: (2013- 2014م) الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ/ 19م ، أطروحة دكتوراه، إشراف الدكتور محمد حوتية،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2.
- حبيب بريك الله، (2014- 2015 م) العلاقات التجارية بين مدينة تندوف وإفريقيا الغربية من خلال وثائق أسرة أهل العبد، أطروحة دكتوراه، إشراف الدكتور حساني مختار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2.

4.- المصادر باللغة الأجنبية:

- Martin,) 1908(Les Oasis Sahariennes,Gourara-Touat-Tidikelt, Edition de l’imprimerie algérienne , Alger.